

آلان باديو FRV

لغز مايو 68

(لنا الحق في التمرد)

ترجمة أحمد حسان

Alain Badiou

On a raison de se révolter

L'actualité de Mai 68

Ouvertures

Fayard

2018

مصير الفرضيات حول معنى مايو 68

سنُعاوِدُ إذن التحدُّثَ قليلاً في كل مكان عن مايو 68، مُستعينينَ برمزيةِ نصفِ قرنٍ. سنرى كيف تأخذُ مكانَ الصدارة، على رأسِ مقالاتِ الاحتفالاتِ السنوية، الفكرةُ الغامضة عن مايو 68 بوصفه مهرجاناً شبه - تمُردي لأخلاقياتٍ جديدة ضد العالم القديم، بوصفه مقدِّماً للنزعة النسوية، بوصفه إنتاجاً تمهيدياً لحركة⁽¹⁾ LGBT، بوصفه وداعاً غسقيّاً للطبقة العاملة، بوصفه آخر اليوتوبيات، بوصفه تحرُّراً جنسياً، بوصفه تاريخاً نرقصه على أنغام موسيقى الروك، بوصفه تقديمًا أعمى لليسار - في - السلطة في انتخابات عام 1981، بوصفه ألعاباً ناريةً نقابيةً قبل خمودِ النيران، بوصفه أناركيةً مُلوَّنةً بالأحمر، بوصفه تمرداً مناهضاً - للسلطة، بوصفه محصّلةً لمشاجراتٍ تافهة، بوصفه جودار وهو يصنع سينما في الشارع، بوصفه مُزحةً لماو أخذها على محمل الجدِّ بعضُ المثقفين المُغتَـبِطين، بوصفه ثورةً ثقافيةً بالصلصةِ الغربيةِ الناعمة، بوصفه ذريعةً لخلق ألفِ شرذمةٍ متورِّمة، بوصفه احتلالاً للجامعات من أجل تعميمِ الاحتلالات، بوصفه الذروة النقدية للثلاثينية المجيدة⁽²⁾، بوصفه ذكرى مستقبليةً للعجائز الحُمر المُعتزِلين، بوصفه ثورةً بروليتارية دون بروليتاريين ولا ثورة، بوصفه منفذاً للمراهقين القادمين من ازدهار - المواليد بعد الحرب، بوصفه واقعِ الموضة بين الشعر الطويل والتنورات القصيرة [الميني - جوب]، بوصفه إدماجاً للطبقة العاملة في مجتمع الاستهلاك، بوصفه رفضاً لمجتمع الاستهلاك من

جانب المستهلكين، بوصفه استنفاداً بالأعلام الحمراء للاستهلاك التجاري، بوصفه استدارةً للعبور من بنوية التوسير إلى حيوية دولوز، بوصفه خلقاً مُجهّزاً لشيوعية جديدة، بوصفه حكايةً لصينية⁽³⁾، أو لصيني، بوصفه بداية النهاية للحرب الباردة، إلى آخره، إلى آخره . . .

يمكن فهم تلك التلاوين المتنافرة. أولاً لأن حقيقة "مايو 68" لا يمكن قراءتها في مايو. دعونا لا ننسى، دعونا لا ننسى أبداً، أنه في يونيو، كانت أضخم مظاهرة، عديداً، في تتابع المظاهرات، هي مظاهرة البورجوازية المذعورة، تحت قوس النصر، التي يُلَوَّح على رأسها مالرو مُخَدَّر. أن ديجول ذهبَ إلى ألمانيا ليرى إن كان الجيش الفرنسي سيظل الركيزة الأبدية للدول الطبقية. وأنه، وسط وطء الأقدام، أعادت أغلبية انتخابية ساحقة اليمين إلى سرح القيادة، مُشيرةً بذلك إلى أن هوية مايو 68، في نظرها، تُعدُّ اختلالاً مُوجعاً جداً.

إن حقيقة مايو 68، بمعنى حتى مجرّد الوصف البسيط لتفردّه، ليست ممكنة إلا إذا وضعنا في الاعتبار أعقابه المباشرة من جهة - السنوات العشر التي تلتها - وتعقيده الداخلي من جهةٍ أخرى. لأن مايو 68 هو بالأحرى كورس بوليفوني [متعدد الأصوات] متناقز غالباً أكثر من كونه فرقةً متناغمةً من العازفين.

ما شكّل تفرد مايو 68 (وكذلك دون شكّ تفرد ما يُقارب العشر سنوات التي تلتها)، ليس على الإطلاق بساطة فكرة، ولا ضخامة تمرد. فلا وميض الفكر، ولا قوة العدد يمكنهما أن يُشكّلا طابع تلك اللحظة. وحين يفكّ جان - كلود ميلنر Jean-Claude Milner، في عمله *Constat*، شفرة الحداث باعتبارها اقتران التمرد والفكر، فإنه يضلُّ.

لنقل أولاً أن ما يتعلّق بجانب العنف والعدد لم يكن جديداً على الإطلاق، حتى لو كانت الصورُ الباقية عنه مازالت تمارس تأثيرها. فقد جرت، منذ نهاية أعوام الخمسينات،

وبالأخص بصدد حرب الجزائر، لا مواجهاتٍ بالغة العنف مع الشرطة فحسب - أوقعت جرحى وقتلى أكثر من مايو 68 -، بل مجموعٌ كاملٌ من الممارسات غير القانونية، تتراوح من رفض الذهاب لأداء الخدمة العسكرية كجندى في الحرب الكولونيلية إلى شبكات الدعم للمنظمات القومية الجزائرية، وهي ممارساتٌ عادةً ما تم دفعُ ثمنها بعمليات نفيٍ طويل، واعتقالات، ومحاكمات، وفي الجزائر ذاتها، بعمليات تعذيبٍ وإعدامات. رويداً رويداً أخذ الرأي العام ينقسم بعنفٍ بشأن هذه الحرب، التي تم إضرامها من جديد، عام 1956، بطاقةٍ إجرامية بالمعنى الدقيق من جانب الحكومة الاشتراكية لحي موليه Guy Mollet، بعد حملةٍ إنتخابيةٍ جرت تحت شعار "السلام في الجزائر". من تلك اللحظة، فضلاً عن ذلك، اقتنعتُ بأن الاشتراكية - الديمقراطية خيرةٌ في الجحود والخداع، وهو الأمر الذي رهنتُ شرفها على التو بالبرهنة عليه بصورةٍ دامغة، على جانب الحزب الاشتراكي، من موليه إلى ميتران، ومن ميتران إلى جوسبان، ومن جوسبان إلى أولاند. لكن على جانب الحزب الشيوعي الفرنسي، لم تمض الأمور بصورةٍ أفضل، من والديك روشيه إلى جورج مارشيه، ومن مارشيه إلى روبر هيو وماري - جورج بوفيه، ومن هؤلاء الآخرين إلى بيير لوران. إن اليسار برمته هو ما ينبغي في العمق التفكيرُ في أنه لم يفعل، خلال التابع الذي يمضي من سنوات الخمسينات حتى اليوم، والذي يتطابق مع حياتي النضالية، سوى مُتتاليةٍ من الخيانات، قبل أن ينجبو إلى عدمٍ خامل. لكن بالفعل، منذ عشرات السنين، كتب سارتر: "اليسار هو جثةٌ [مدفونة] بالمقلوب [و] تتعفن". ربما كان المعادلُ الواقعي لهذه الفكرة الواضحة والعنيدة التي هي "اليسار" هو الميثُ - الحي من البداية. على الدوام، تحت حكم الاشتراكي موليه، كان البعض يضعون ملصقاتٍ تصمُ بعنفٍ نادر "المثقفين الانهزاميين"، ويعنُون مُعارضى الحرب الكولونيلية الوحشية، بينما كان المثقفون المذكورون، وأنا من بينهم، يهبطون بانتظامٍ - مُستعِضين عن

العدد بنوعٍ من الشجاعة - بولفار سان ميشيل، لينالوا الضرب بالهراوات أسفلهُ، وينهضوا في أوْشَحْتهم ليستقرّوا في عربات الشرطة. أود بذلك القول أنه، فيما يتعلق بالشعور السامي بانقسامٍ شرّس وعنفٍ كامن، كان يجتاحني القتالُ خلال ذلك الزمن أكثر مما كان يفعل في مايو 68. في العمق، كان ثمة تمرّدٌ، بالتأكيد، في مايو 68. لكن كان ثمة أيضا، خلال كل شهر مايو البديع ذاك، وبالأخص خلال تلك الأسابيع الأربعة الأولى، برغم الصدمات العديدة وضحايا تجاوزات الشرطة، والمتاريس، ودخان الغاز المسيل للدموع، نوعٌ من الإجماع الموّاتي الطافي، موافقةٌ بالغة الاتساع، كان شعارها بالنسبة لي هو رؤية بعض المباني السكنية الجميلة، في أحياء هادئةٍ من باريس، مكسوّة، بصورةٍ متناقضة، بالأعلام الحمراء.

أما بالنسبة لما كان على جانبِ الفكر الجديد، فيجب القول أنه كان يشجّع - وسوف أعود إلى ذلك - الديمومة الصبورة والرزينة، الفعل النضالي العنيد، أكثر من إلحاح الفعل الجماهيري بقوةٍ مفتوحة. خلال مايو ذاته، ظل القاموس السياسي تقليديا إلى حدٍ كبير، حتى لو كانت تزَيّنه بعض الاكتشافات، الفاتنة أكثر من كونها ملحمية، من قبيل "تحت أحجار الرصف، الشاطيء" أو "لندع الخوف من الأحمر للوحوش ذات القرون". كانت الموتيفة العامة للـ"ثورة" تُمارَس هي ذاتها كمكانٍ مشتركٍ دون محتوى حقيقي يمكن بلوغه، ودون فعلٍ رمزي يمكنه، ولو من بعيدٍ جداً، أن يُذكّر بالهجوم ضد التويلري أو الاستيلاء على قصر الشتاء. وأنا نفسي، أذهلني أن أرى مظاهراتٍ بالغة الأهمية، في المدينة الإقليمية التي كنت أسكنها وأدّرس فيها حينها، تمرّد دون خوفٍ أمام قسم شرطةٍ مُجرّدٍ تماما من الدفاع البوليسي - حيث كان كلُّ الجهاز القومي متركّزا على باريس - دون أن تبدو أدنى نيةٍ للاستيلاء عليه. وأنا نفسي، في دهشتي التي لم تخطر على بالٍ أحد، حلمتُ بذلك الهجوم، لكنني في الحقيقة لم أحلم بذلك بجديّةٍ أكبر لأنني لم أفعل شيئا لإعداده أو حتى للدفاع علنا، أمام الجمعيات العامة

التي لا تُحصى لتلك الفترة، عن فرصة القيام به. ومن جهةٍ أخرى، كانت المسألةُ بداهةً مسألةً "نضالٍ" "معركة"، وعلى المقياس السلبي، كان ثمة أيضا رفضٌ واضحٌ للشكل البرلماني للدولة، تبدّى منذ أن تلقى جزءٌ كبير من الحركة في يونيو إعلان الاستفتاء بصياحٍ مُدوّ، أظهر كلُّ المستقبل معناه الحقيقي، معنى "الانتخابات، فُحُّ الحقى". لكن ذلك كله لم يُشكّل أية رؤية جديدة للسياسة. لم يوجد في ذلك سوى أشكالٍ جنينية لنفي الأشكال القائمة، وبصورةٍ فريدةٍ أحزابٍ يسارٍ، بما في ذلك الشيوعيين، كان واضحا تماما أن الحركة تزعمهم إلى حدٍّ أنها لم تحرك فيهم ولو إحساسا غامضا بالرضى.

يمكنني القول عن طيبٍ خاطر، ضد القول المأثور لميلنر، بأن مايو 68 وتوابعه أشارت إلى **انقسام disjonction** التمرد والفكر. فهمتُ في نهاية المطاف أن المشكلة السياسية لم تكن مشكلة حركةٍ بهيجةٍ وواسعة ضد القصور الذاتي للدولة، بل مشكلة تنظيمٍ يجب ابتكاره، ضد شكل - الحزب من طراز الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي لم يعد له وريث. يشير مايو 68 في آنٍ واحدٍ إلى نهاية الشكل الرخو والشرس لـ "حزب الطبقة العاملة" وإلى بدء لغزٍ ما زال يعمل، ويمكن صياغته ببساطة: إذا كان حقيقيا أن من لا يملكون شيئا على الإطلاق - لا نقود، ولا أسلحةً، ولا سلطة، ولا أدوات دعاية - ليس لديهم من قوةٍ سوى قوة اتحادهم وانضباطهم، وإذا كان حقيقيا أيضا أن الشكل المركزي والعسكري الطابع للحزب الستاليني قد أظهر حدوده، فبأي انضباطٍ جديدٍ، بأية وحدةٍ قادمةٍ يجب إذن دعمُ الفعل الشعبي؟ وبصورةٍ أعمّ، ما هي السياسة، الحقيقية، تلك التي تستهدف، كما يُنشد نشيدُ الأُمّية، أن "يتغير العالم من أسفل" وأن يصبح من ليسوا شيئا كلَّ شيءٍ؟

لكن لفهم كلِّ هذا جيداً، يجب أولاً القضاء على الرؤى النمطية لمايو 68، الرؤى التي تُغذي بثقة احتفالاتٍ وكذلك إداناتٍ، نوباتٍ حنينٍ وكذلك محاكماتٍ، ذلك الشهر الرمزي في مناسبة إحياء ذكراه الخمسين. إنها رؤى تجمعها الرغبة بأي ثمنٍ في اختزال الحدث إلى نوعٍ من الوميض النابض للوهم داخلَ تفاهةٍ ما هو واقعي. أن يتحدث المرء عن "أضخم إضرابٍ في تاريخ فرنسا"، عن "تمرد الشباب"، عن "ثورةٍ في العادات"، عن "عيدٍ لليوتوبيات"، فإنه يتشبَّثُ بسرَّابٍ انقطاعٍ بسيطٍ، بتلاشٍ باهرٍ، ويجهل أن كلَّ حدثٍ لا يكتسب قيمةً في قوته إلا بعنادٍ عواقبه. وإذا كان المرء يحلم، مثل ساركوزي، بـ"القضاء على مايو 68"، فذلك أيضاً لأنه ينسبُ إليه قوةٌ يكون هذا الشهر بوصفه كذلك، معزولاً، بعيداً عن امتلاكها.

لكن، في هذه الظروف، لماذا تشييع اليوم إلى هذا الحد الرغبة في الاحتفال بذكرى مايو 68؟

الإجابة الأولى سلبيةٌ صراحةً. يمكننا اليوم الاحتفال بذكرى مايو 68 لأننا واثقون من أنه ميّت. فبعد خمسين سنةٍ، لم تعد به نائمةً. وهذا ما يُعلنه بعض الثانية والسبعينون القدامى البارزون. "Forget mai 68!" [إنسوا مايو 68!] هذا ما يحضُّنا عليه منذ زمن طويل كوهن - بنديت، بطل المشهد الثماني والستيني الذي أصبح سياسياً عادياً. نحن في عالمٍ آخر تماماً، تغير الوضع تماماً، ومن ثم يمكننا الاحتفال بذكرى شبابنا البديع بكل هدوء. لا شيء إذن مما حدث له دلالةٌ نشطة بالنسبة لنا. حنينٌ وفولكلور.

ثمة إجابة ثانيةٌ أشدُّ تشاؤماً بدورها. إننا نُحيي ذكرى مايو 68 لأن ما كان في طريقه للميلاد، في ظل السفسطة الثورية، ما أصبح النتيجة الحقيقية منذ عام 1983، كان في الحقيقة إذعائاً واسعاً، في كل مكان، لعودة الرأسمالية الليبرالية المطلقة العنان وتمجيدها حاسماً

لـ"ديموقراطية" الساذجة المصاحبة لها. في هذه الرؤية للأشياء، التي تتقاسمها وتنشرها كتائب المثقفين المهرولين إلى التنكر لمجوحات شبابهم، من جهة، فإن الجزء الليبرتاري لـ68، تغيير العادات، والنزعة الفردية، وطعم المتعة، يجدُ تحقُّقه في الرأسمالية ما بعد الحداثية وعالمها المبرَّقش بالاستهلاكات من كل نوع. أما بالنسبة للجانب الآخر للصخب، بالنسبة لتروتسكية وماوية تلك الفترة، دون نسيان أناركي العمل المباشر، فلا يجب أن نرى فيه سوى السنة الذهب الأخيرة، التافهة عملياً، لنزعة شمولية بشعة، بلغت أخيراً اختلاجات الاحتضار. وأخيراً، في هذه الرؤية، فإن الناتج الديالكتيكي الإيجابي لمايو 68 يمكن أن يكون ساركوزي بشخصه. وكما دعانا مبكراً جدا جلوكسمان Glucksman أو برنار هنري ليفي BHL، فإن الاحتفاء بمايو 68، يعني اليومَ الاحتفاء بدولة القانون المدافع عنها بشجاعة ضد البرابرة الروس أو الصينيين، دون أن ننسى المسلمين البشعين وإرهابيهم، بواسطة الجيش الأمريكي أولاً، ثم بواسطة الشرطة الجمهورية⁽⁴⁾. بالنسبة لأولئك الأشخاص، فإن مايو 68، الذي جرى التنكر له على نحوٍ مناسب، بما يعني تجريدَه من بهرجة الشمولي، يفتح الطريقَ الملكي لإحالة مُنقِذَةٍ إلى الولايات المتحدة، ودولة إسرائيل، إلى قيم وفضائل الغرب الإمبريالي.

وأودّ أن أضع في مقابل تلك الرؤى الخائفة فرضياتٍ أشدَّ تفاؤلاً تتعلق بإحياء الذكرى.

الأولى، هي أن هذا الاهتمام بـ 68، خصوصاً من جانب جزء كبير من الشباب، هو، على نقيض الفرضية الثانية، هبةٌ مناهضة لساركوزي، تمرّدٌ أصمٌّ وأعمى ضد التحول الذي تم إدخاله في نسق التمثيلات السائدة بانتخاب تلك الشخصية، التي لا يُعدُّ ماكرون سوى إدامةٍ لها. فساركوزي هو من أراد فرض فكرة أن الثراء، حبّ الربح وأوجه رفاهيته، احتقارَ الفقراء المبتدلين، الذين ليسوا سوى خاسرين، لا يجب أن تكون ممكنةً فحسب، بل ضروريةً وعادلة.

إلا أن ميتران كان متعقلا، في هذه النقطة. فقد تجنّب تاي Tapie، الذي كان مع ذلك أحد قتلته المأجورين: "انتباه! الفرنسيون لا يحبون النقود." أراد ساركوزي الوصول إلى آخر حدود هذا النفور. وواصل هولاند، فعليا، السير في هذا الطريق: فقد شن حملته بإعلان أن عدوّه هو "المال"، لكنه أظهر على الفور أنه مضطّرّ تماما لأن يصبح صديقه. وأخيرا، يجعل ماكرون من رفاهية عصبية أوليجاركية، من تدفق رؤوس الأموال، بداية ونهاية "الحداثة"، ضد كل "تشنّج عتيق" بصدد أمورٍ من قبيل الحماية الاجتماعية أو الخدمة العامة. وبديهي أنه ما من شيء أشدّ تعارضا مع التهويمات الثمانية والستينية. هل يمكن التفكير، إذن، في ذروة النفي، أن عديدا من الشباب وقدامى المحنكين سيستديرون صوب مايو 68 - الذي هو بالنسبة للأولين ميثولوجيا، وبالنسبة للآخرين ذاكرةٌ حيّة - مثلما صوب مصدرٍ متاحٍ للإلهام، نوعٍ من القصيدة التاريخية، لاستعادة الشجاعة، لرد الفعلِ حقا ونحن في قاع الثقب الذي يفرضه علينا الانتصار المشؤم للرأسمالية المعولمة؟

ويمكن لبعض المؤشرات أن تتيح صياغة فرضيةٍ أخرى، أكثر تفاؤلا. سيتم إدراج تقدير مايو 68 ضمن مسيرة وعيٍ ما زال غائما، لكنه منتشر، يمثل ضرورة - إلحاح - القضاء على فرضٍ مصيرٍ وحيدٍ على البشرية، نهايةً للتاريخ، بمعنى فوكوياما، نهايةً يمثلها ترادفُ الرأسمالية والشكل البرلماني للسياسة، وكلاهما يتميزان على الدوام بوصم "الحرية" كقيمةٍ عليا. هذا الوعي الوليدُ يمكن أن يرفض بهلجِ كلاً من الرأسمالية والمناهضة العتيقة للرأسمالية من جانب اليمين المتطرف، التي تُعير عنوانها الفاشل للكتاب الأخير لجان - كلود ميشيا Jean-Claude Michéa، **عدوّنا، رأس المال**. هذا العنوان يمكن الاعتقادُ بأنه لا يحتملُ الرفضَ ما لم يكن مؤلفه قد علّق عليه كما يلي: "من الأسهل اليوم تخيّل نهاية العالم أكثر من نهاية الرأسمالية." وبذلك يضفي الصفة الفوكويامية على نقده المزعوم لليبرالية، وأخيرا يقترحُ تفهقراً تقليدياً إلى

الوراء، خليطاً من النزعة القومية و الديوجوجيا، يطهوه، في باحته الخلفية، قريباً جداً من مارين لوين Marine Le Pen. ولن يندهش المرء لكونه خصماً لدوداً، منذ زمن طويل، لمايو 68، وبالتالي، لأن الوعي - المسبق الذي أتحدث عنه لا يمكن أن يقع في فخاخه. لأن هذا الوعي - المسبق يؤكد بالضبط أن من البساطة بمكان، وليس من المستحيل على الإطلاق، التفكير في نهاية الرأسمالية ووضعها موضع التنفيذ، وأن ذلك هو ذات إلحاح اللحظة: إعادة تشييد رؤية للعالم، داخل كل فرد وكذلك على نطاق واسع، على أساس الصراع بين طريقتين، الطريق الرأسمالي والطريق الشيوعي. بالنسبة لهذا الوعي على وشك الاستيقاظ، فإن الاحتفال بذكرى مايو 68 سيكون بمثابة إشارة إلى أن اليوم سيعود.

ما زال يتوجب معرفة عن أي مايو 68 نتحدث. لأن ما يجب فهمه أولاً، هو أن إحياء الذكرى هذا إذا كان يتيح مجالاً لكل هذه الفرضيات المتناقضة، فذلك لأن مايو 68، مع كل ما انفتح عليه خلال ما يقارب عشرين عاماً، هو حدث ذو تعقيد بالغ. من المستحيل إعطاء صورة موحدة ومريحة له. لهذا السبب، فإن هذا الحدث، باستثناء تفرده الذي نادراً ما يُلاحظ، قد احتفظ كإسم، بتاريخه، السنة والشهر، ولا شيء آخر. برهانا على أن اسماً سياسياً، من قبيل "الثورة الفرنسية"، أو "كومونة باريس"، أو "الثورة الثقافية"، أو "الأيام الثلاثة المجيدة"⁽⁵⁾، لم يمكن الإشارة إليه به، خصوصاً أنه لم يقدم للتاريخ أسماء أعلام بارزين، زعماء أو أبطال. يظل مايو 68 لغزاً من نواح عدة. وأودُّ أنا أن أقنع قارئ أن هذا اللغز يرجع إلى أنه، تحت الاسم البالغ الغموض لـ "مايو 68"، تكمن كثرة متنافرة.

هوامش المترجم:

1. LGBT: Lesbian, Gay, Bisexual, Transgender. مثلية، مثلي، مزدوج التوجه الجنسي، مُتحوّل. أحياناً يضاف إليها مُتَحَيَّر Questioning، [مجمع الميم]، وبيّنّي الجنس Intersex.
2. les Trente Glorieuses : الأعوام الثلاثين التي تلت الحرب العالمية الثانية، وشهدت ازدهاراً ونمواً استثنائيين.
3. الإشارة هنا إلى فيلم جودار بعنوان "الصينية" عن فتاةٍ ماوية ورفاقها.
4. أعتقد أن الشرطة الجمهورية تشير هنا إلى فرق مكافحة الشغب الشهيرة CRS: Compagnons républicains de sécurité:
5. الأيام الثلاثة المجيدة: اسم آخر لثورة يوليو، أو ثورة 1830. وهي أيام 27، و28، و29 يوليو، التي تحولت فيها الاحتجاجات إلى عصيانٍ نصب فيه الثوار المتاريس في باريس وسيطروا عليها، مما أسفر عن عزل شارل العاشر عن العرش وتنصيب لوي - فيليب، الذي سيُعزل بدوره. أي استبدال سلالة بوربون بسلالة أورليان.

"مايو 68" كان ثلاثة

الأول . . .

من البديهي أنه قد وُجد، في وقتٍ واحد، ثلاثة "مايو 68" مختلفين. علاوةً على رابع، لكن لندعه الآن جانبا. وقوة، خصوصية، مايو 68، هي أنه صَفَر، زَوج، رَاكِب بين ثلاث سيورَاتٍ بالغة التنافر في النهاية. لُتْسَمِّها على الفور: (1) مايو 68 الطلاب والتلاميذ. (2) مايو 68 العمَّالي. (3) مايو 68 الليبرتاري. وإذا كانت مُحَصِّلات هذا الحدث بالغة الاختلاف، فذلك لأن المرء يتمسك عموما بواحدٍ من الجوانب وليس بالإجمالي المعقّد الذي صنع طبيعته التاريخية الحقة.

لنتحدث هنا، أولاً، عن مايو رقم 1، لأنه هو الذي، ظاهرياً على الأقل، وضع النار على البارود.

كان مايو 68 أولاً، بالفعل، انتفاضةً، تمرداً للشبيبة الطلبة والتلاميذ. هذا هو الجانب الأكثر استعراضيةً، الأكثر شيوعاً، هو الذي ترك صوراً قوية، تُعاود الرجوع إليها مؤخراً: المظاهرات الحاشدة، المتاريس، المعارك مع الشرطة، إلى آخره. صورَ عنفٍ، وقع، وحماس، يجب، فيما يبدو لي، أن نستخلص منها ثلاثَ خصائص. أولاً، كانت هذه الانتفاضة في حينها ظاهرةً عالمية. من مكسيكٍ المذابح في ميدانٍ عام إلى ألمانيا الهَبَّات الطلابية القوية، من صين الثورة الثقافية إلى الولايات المتحدة ذات الحركات ضد حرب فيتنام، من إيطاليا الكيانات

المستقلة ذاتيا إلى يابان الجيش الأحمر، من الانتفاضات الإصلاحية في تشيكوسلوفاكيا إلى التمردات الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني، كان الشباب في كل مكان يهبُّ ضد العالم كما أُعيد تأسيسه في نهاية الحرب العالمية الثانية. إن مايو 68، بمعنى مُكوِّنه الطلابي، هو التنويع الفرنسية لظاهرة عالمية.

ثانياً، من المهم تذكّر أنه في تلك الفترة، قبل التعديلات المُتَّخَذَة لدينا جزئياً تحت تأثير القوة الدافعة الكوكبية للشباب، كان الطلبة [طلبة الجامعات]، وحتى التلاميذ [تلاميذ المدارس الثانوية]، يمثلون أقليةً بالغة الضلالة من الشباب في مجمله. هذه الظاهرة محجوبة الآن لأنه، منذ قانون شفينمان Chevènement لعام 1985 والقوانين التي تلتها، يمكننا إعلان أنه، منذ عام 2012، فإن 79% من الفئة العمرية قد اجتازت البكالوريا. وفي الحقيقة، يُخفي هذا التأكيد الظاهر استقرار مُحدِّدات الفئة. لأن البكالوريا العامة، الوريث الوحيد الحقيقي للبكالوريا القديمة، مستقرةٌ بصورة ملحوظة منذ عشرين عاماً: 33% من الفئة العمرية اجتازت هذه البكالوريا عام 1990، و 38% عام 2012. أما البكالوريا "الشعبية" الأصعب، أي التقنية، فهي مستقرةٌ بدورها، مع تراجع طفيف: 18% عام 1990، و 16% عام 2012. البكالوريا الحرفية، ما - قبل البكالوريا الحقيقية بالنسبة للجماهير، هي التي تخلق الارتفاع الظاهر: 5% بعد خلقها مباشرة عام 1990، و 25% عام 2012. الحقيقة هي أن البكالوريا البورجوازية/البورجوازية الصغيرة كانت تتعلق، عام 2012، بنسبة 38% من السكان، ويتعلق نوعا البكالوريا الشعبان بنسبة 41%. وتبقى نسبة 21% من المُستبعدين، مما لا يمكن إغفاله على الإطلاق. هذه الأرقام تقدم محصّلةً على أساس تحليل طبقي كلاسيكي تماماً حيث أنه يتعلّق ببلدٍ "متطوّر"، مما يعني أنه قوةٌ إمبريالية: 38% من الأوليغاركية والبورجوازية الصغيرة الميسورة، و 62% من المأجورين القاعديين والعاطلين. بعد توضيح

ذلك، فإن الوضع الذي ترمز إليه كلمة "بكالوريا" مختلف تماماً حين نريد الحديث عن مايو 68. ففي عام 1967، كان ما لا يزيد على 15% من الفئة العمرية يجتازون البكالوريا، وحين نتحدث عن "طلبة"، فإننا نتحدث عن جزءٍ محدودٍ جداً، ومتميزٍ بداهةً، من مجموع الشباب، جزءٍ منفصلٍ بقوةٍ عن جمهور الشباب الشعبي. وهذا ما يمكن أن يُفسّر أن قسماً هاماً من حركة الشباب، في مايو 68، قد حرّكه أبناء وبنات البورجوازية، بما في ذلك البورجوازية الكبيرة. كما توضح هذه الظاهرةُ بدورها أن التماسكَ الإيديولوجي كان ضعيفاً: فقد كان تنكّرُ استثنائي يُهلك المعسكر النضالي، وبالأخص من احتلوا وظيفةً قيادية، ومعسكر السنوات التي تلت نهاية أعوام السبعينات. يضرب عددٌ من المثقفين صدورهم وهم ينبذون الماوية، أو التروتسكية، أو الستالينية، وينحازون جماعياً إلى جانب "الديموقراطية"، و"حقوق الإنسان"، و"الحضارة الغربية". تتضح هذه الظاهرة المثيرة للاهتمام حين نتذكر أن الشبيبة الطلابية لمايو 68 كانت نابعةً في غالبيتها من البورجوازية السائدة. وحين رأت أنه لم تظهر أدنى بادرةٍ على أي انتصارٍ ثوري، يمكنها أن تلعب فيه دوراً مجيداً، ولن يحدث، بالنسبة للقادة المرتجلين للمجموعات السياسية، نقلٌ مُغرٍ لشهرتهم، أصبح طبيعياً في المحصلة أن ينضم جزءٌ ملحوظٌ من متمرّدي 68 من جديدٍ إلى الوضع الرّيعي لمعسكرهم الأصلي.

يبقى أن الطلبة وجزءاً كبيراً من المثقفين، في مايو 68 أولاً، ثم في التابع الذي يمضي من 1968 إلى 1978 - "السنوات الحمراء" العشر - بالحساب الأوسع، قد فعّلوا حركةً قويةً إيديولوجية وعملية.

الملاحظة الثالثة والأخيرة بصدد مايو 68 الأول هذا هي أن عناصر الجِدّة من نوعين: من جهة، القوة الاستثنائية للإيديولوجيا ورموزها، للقاموس الماركسي، لفكرة الثورة. وفيما هو

أبعد من ازدحام المنظمات والشراذم، التي عادةً ما تكون متعارضةً بقوة، فإن نوعاً من اللغة المشتركة - مزيجاً من الضراوة الأناركية، والدوجمائية الماركسية، والشعر الظرفي - تُوجد رمزية الحركة وتُضفي على شعاراتها نغمةً قابلةً للتعرف. والمليقات البالغة الجمال التي أنجزها طلبة مدرسة الفنون الجميلة هي نوعٌ من التلخيص البصري لهذا الابتكار. ومن جهةٍ أخرى، ثمة، بوجهٍ شديد العمومية، قبولٌ جديد للعنف، لمشروعيته، حتى لو لم تُمارسه في الشارع إلا مجموعاتٌ مُنظمة ومحدودة. هذا العنف دفاعيٌّ بشكلٍ كبير، ضد القمع، ضد قوات الدولة، لكن ليس هذا فحسب. إذ سيظل ممكناً خلال أعوامٍ ليست بالقليلة رؤيةُ فصائلٍ جامعيةٍ تذهبُ لإلقاء أحجار الرصف على الوكالات المصرفية، وأوكار اليانكي أو مكاتب أصحاب الأعمال. وقد جرى تعلُّمُ صنْع والتعامل مع الكوكيتيل مولوتوف في أفنية مدرسة المعلمين العليا. كلُّ هذه الترسانة الإيديولوجية والنشاطية ستُضفي لونها، وصورها القوية، على هيئة الطلاب والتلاميذ خلال بضعة أعوام، بدءاً من الانفجار الربيعي الأول.

بعد قول هذا، لن يعودَ باستطاعتنا نسيانُ أن جزءاً بالغ الأهمية عددياً من حركة الطلبة كان يتكون من جمعياتٍ عامةٍ لا تنتهي موجّهةً مبدئياً لتغيير الجامعة، لخلق "مجموعات عمل"، للاعتراض على الامتحانات، لنقد "الدرس الأستاذي" ⁽¹⁾ cours magistral، لتغيير البرامج الدراسية بصورةٍ إبداعيةٍ وغيرها من المهام من الدرجة الثانية، رغم امتلائها بالنوايا الحسنة.

لكن كل حركةٍ تتضمّنُ جزءها الكامن من القصور الذاتي، أو من التحريض بلا جدوى. الإيديولوجيا الثورية المُشفّرة، الأفعال الحادة موضعياً، الوقت الضائع، والإصلاحات الوهمية: كل هذا يُشكّل مايو 68 الأول.

1 الدرس الأستاذي cours magistral: أو المحاضرة الأستاذية: درس يلقيه الأستاذ على طريقة المحاضرة ويعتمد على المحاضر تماما، سواء من وجهة نظر المحتوى أو طريقة تتابعه، ويتركز على نقل المعلومات دون مشاركة فعالة من الطلبة.

مايو 68 كان ثلاثة

الثاني . . .

ثمة مايو 68 ثانٍ، مختلفٌ تماماً، هو أضخمُ إضرابٍ عامٍ في كلّ التاريخ الفرنسي. هنا يكمنُ مُكوّنٌ بالغ الأهمية. من جوانب عديدةٍ يُعدُّ هذا الإضراب العام كلاسيكياً بشكلٍ كبير وعادةً ما ستجري مقارنته بالانتفاضة العمالية لعام 1936، بلحظة إقامة حكومة الجبهة الشعبية. ستم من البداية بُنْيَتُهُ حول المصانع الكبرى والشركات المؤمّمة - السيارات، ومصانع الصلب، والكيمياء، ومعامل تكرير البترول، والسكك الحديدية . . . وفيما وراء الوقائع الاستهلاكية، التي سأعود إليها، سيكون الإضرابُ من الناحية الأساسية مُبْنًى ومُسيّراً من جانب النقابات، وبصورةٍ فريدة من جانب النقابة العامة للشغل CGT، التي كانت لا تزال بكاملها تحت سيطرة الحزب الشيوعي الفرنسي PCF. وسيكون امتدادُ الحركة بوجهٍ خاص إلى الشركات المتوسطة والصغيرة موضع "تشجيع" كبيرٍ من فرق إقناع نقابية.

ويمكن القولُ على الفور أن هذا الإضراب، في اتساعه وديمومته، في هيئته "المتوسطة"، يتموضعُ تاريخياً ضمن سياقٍ بالغ الاختلاف عن تمرد الشباب، الذي سيحاول الحزب الشيوعي - وسنرى أن هذه النقطة تتمتع بأكبر أهمية - عزله بجدرانٍ حقيقية. ينتمي الإضراب إلى سياقٍ يمكنني القول أنه يساريٌّ على نحوٍ كلاسيكي، بالمعنى الذي كان به الحزب

الشيوعي، في تلك الفترة، دون أدنى شك مُكوّن هذا اليسار الأكثر حضوراً في الوسط العمالي.

وفي نفس الوقت كان هذا الإضراب يستمدّ الحيوية بشكلٍ مكافئٍ من عناصر راديكاليةٍ تجديدية، هي أربعةٌ بالعدد.

1. أولاً، كان شُنُّ الإضراب وسيره، خارجاً إلى حدٍ كبيرٍ عن المؤسسات العمالية الرسمية. ففي أغلب الحالات كانت مجموعاتٌ من العمال الشباب هي التي أطلقت الحركة خارج المنظمات النقابية الكبرى، التي انضمت إليها على الفور، جزئياً لتكون في موضع التحكّم فيها. ثمة إذن، في مايو 68 العمالي هذا، عنصرٌ تَمَرّدٍ كامنٍ، هو أيضاً، في الشباب. وقد مارس هؤلاء العمالُ الشباب ما أُطلق عليه غالباً "إضرابات وحشية" *grèves sauvages*، لتمييزها عن الأيام النقابية التقليدية الكبرى. ولنلاحظ أن هذه الإضرابات الوحشية بدأت منذ عام 1967، في نورماندي بالتحديد، ومن ثم لم يكن مايو 68 العمالي مجرد تأثيرٍ لمايو 68 الطلابي، بل إنه قد استبقه. هذه الرابطة الزمنية والتاريخية بين حركة الشباب المتعلم وبين حركة العمال هي رابطةٌ خاصةٌ تماماً.

2. عنصر راديكاليةٍ آخر: هو الاستخدام المنهجي لاحتلال المصانع. بديهياً أنه ميراث من الإضرابات الكبرى لعام 1936 أو عام 1947، لكنه أكثر تعميماً. فمجمال المصانع تقريباً مُحْتَلَّةٌ وتكسوها الأعلام الحمراء. إنها لصورةٌ رائعة! لكن يجب هنا تذكُّر أن المباني الجامعية كانت هي أيضاً مُحْتَلَّةٌ، وتكسوها الملصقات، واللافتات، والأعلام. يجب رؤية ما جرى لهذا البلد ليُجعل، في وقتٍ واحدٍ، كل المصانع وكل الكليات تكتسي بالأعلام الحمراء. من رأى ذلك لا يمكن أن ينساه.

3. العنصر الثالث "الحشن": منذ تلك الفترة، وخلال السنوات التالية، ثمة ممارسةٌ بالغة المنهجية ليس لاحتلال جهاز الإنتاج، ليل نهار، فحسب، بل كذلك لاختطاف أصحاب العمل وللشجارات الهامشية مع الكوادر أو مع قوات مكافحة الشغب CRS. مما يعني أن النقطة التي تحدث عنها للتو، عن قبول معين للعنف، يوجد داخل حركة الطلبة والتلاميذ، لكن يوجد أيضاً، بأشكال مختلفة، داخل الحركة العمالية.

4. يجب أخيراً أن نتذكر، لننتهي من مايو 68 الثاني ذاك، أنه، بعد وضع كل هذه العناصر في الاعتبار، ستصبح مسألة ديمومة، والسيطرة على الحركة بالغة الحدة. فبين الرغبة القيادية للنقابة العامة للشغل وبين الممارسات التي تحيل إلى ما يسميه المؤرخ كسافيه فينيا Xavier Vigna باسم "العصيان العمالي"، ستقع نزاعاتٌ داخلية في حركة الإضراب، نزاعاتٌ بالغة الحيوية. فبدءاً من لحظة معينة يريد الحزب الشيوعي الفرنسي والنقابة العامة للشغل، اللذان يشكلان عضواً جزءاً من "الديموقراطية" البرلمانية، أن تسود قدرتهما التفاوضية مع الدولة، والاعتراف، الرسمي نوعاً ما، بهما كقوتين قائمتين للحركة. يمنحهما بومبيدو، رئيس الوزراء آنذاك، هذا الأمر ويفتح في وزارة العمل مفاوضات كبرى، سُميت "مفاوضات جرينيل". ستكون مسألة، كلاسيكية جداً، لزيادة الأجور، ضرورةً فضلاً عن ذلك، ودفع أجور أيام الإضراب، كل الأمور التي تميّز بأن تمرّد الطلبة لا علاقة له بها. لكن، عند تقديم بروتوكول ذلك الاتفاق، بصخبٍ كبير، إلى مُضربي مصنع رينو في بيتانكور المجتمعين في جمعية عامة، تم رفضه بأغلبية قوية. فجأةً، ستتجاوز ديمومة الحركة كلّ اعتياد. بهذا المعنى، يمكن القول بأن ذاتيةً عماليةً متمردة ربطت الإضراب بشيءٍ غير محددٍ لا يزال، لكنه، على كل حالٍ، لم يكن قابلاً للحل ضمن الثنائية الكلاسيكية مطلب عمالي/تفاوض نقابي. انفتح صدعٌ، واقعيٌ رغم أنه غير واضحٍ، لثغرة سياسية، لرؤية أخرى لهذا النوع من النزاع.

مايو 68 كان ثلاثة

الثالث . . .

مايو 68 الثالث هذا، الأقربُ دون شكٍ من الأولِ أكثر من الثاني، لكنه مُتناقِرٌ بشكلٍ حاسمٍ عن الإثنين، سَأَسَمِّيه مايو الليبرتاري. ويمكن القول أنه لا يندرج بالضبط لا ضمن الهَبَّات الديمقراطية (بالمعنى الحقيقي، الذي يميل قليلاً إلى الأناركية، وليس بأية حالٍ بالمعنى البرلماني للمصطلح)، ولا ضمن مُحَدِّدات الصراع الطبقي كما ينقلها الحزبُ الشيوعي الفرنسي، والنقابة العامة للشغل، وكذلك المنظمات التروتسكية مثل النضال العمالي *Lutte ouvrière*. ويمكن بالأحرى ضمّه إلى تقاليد الشيوعية الطوباوية، شيوعية فورييه، أو أيضاً، على مستوى أكثر ثقافيةً، إلى التقاليد السورالية، التي تعتقد أن "الثورة" تعني في المقام الأول: تغييراتٍ جماليةٍ لحيواتنا.

بهذا المعنى الأخير، استطاع جى ديور Guy Debord أن يصبح المفكّر الأيقونة لمايو 68 الثالث هذا، وهو السليلُ الحديثُ العظيم لسورالية أعوام العشرينات والمنظّر المتميّز الأسلوب، الأريستوقراطي بعض الشيء، للشيوعية بوصفها تحوّلاً وجودياً لعالمٍ منزوع الاستلاب، مُقتلَع من السلعة ومن عقيدة الاستهلاك. وحتى اليوم، ينسبُ البعض إلى ديور باستثناء ذلك أهميةً شبه محوريةً في مايو 68، رغم أنه لم يفعل سوى إزهارِ مايو الأول من بين الثلاثة، ومنح بعض التعبيراتِ للثالث، دون أن تكون له أية علاقة فعلية بالثاني. وثمة

شيءٌ يقبل المقارنة، بصدد مايو 68، في مصير المذهب الحيوي الفلسفي لدولوز. فدولوز، شخصياً، ظل مُتباعداً عن السياسة النضالية. لكن فكره القوي أفادَ في أن يجعل من "الحركة"، ومنها وحدها، المقولة التي يتبلور فيها وعدُّ العوالم الجديدة والحيوات المتسامية، ومن الرغبة، المحرِّك الفردي الطابع للحركة.

يجب القول أن موادَّ مايو 68 الثالث كانت تنتمي إلى ذاك الضرب من التنوع. فقد كانت الأسئلة السائدة فعلياً هي تغييرُ العادات، والعلاقات العاطفية الجديدة، والحرية الفردية. تساءلت الحركة الطلابية عن تحيُّز "البؤس الجنسي". وتغلَّبت الجماليات بشدةٍ على السياسة. هذه البوتقة المائلة إلى الأناركية هي التي ستمنح بعضاً من لونها لحركة النساء، مثلما لحركة حقوق وتحرير المثليين. وكل هذا التحريض الحيوي سيؤثِّر أيضاً في المجال الثقافي، مع فكرة مسرحٍ جديد يكون فيه الجسدُ هو الحضور الرئيسي، حضورٌ شكلٍ جديد من الكلام العام، أسلوبٍ جديد للفعل الجماعي، عبر ترويح الحدث [happening]، والارتجال والمجالس العامة états généraux⁽¹⁾ للسينما. . . ويشكل هذا أيضاً مكوّناً خاصاً لمايو 68، يمكن القول أنه إيديولوجيٌّ، ولا يشارك بدرجةٍ أقل، رغم لجوئه أحياناً إلى الكلام المُتحدلق والفتور الاحتفالي، في النغمة العامة للحدث.

—

1 المجالس العامة: كانت في النظام الملكي الفرنسي جمعيةً غير عادية تضم طبقات الأمة الثلاث: النبلاء، والكهنوت، والطبقة الثالثة. وكانت تجتمع وتنفض بناءً على طلب الملك.

كان ثمة، جوهرياً،

مايو 68 رابع

يجب تذكّر أن هذه المكوّنات الثلاثة لمايو 68 تظلّ مختلفةً، رغم تقاطعاتٍ هامة. إذ يمكن أن توجد فيما بينها تنازعاتٌ ذات دلالة. فبين "اليسارية" العامة للحركة وبين اليسار الكلاسيكي، وبالذات الحزب الشيوعي الفرنسي، ستجري مواجهاتٌ حقيقية، وكذلك بين اليسارية السياسية (وتمثّل عادةً بالتروتسكية) وبين اليسارية الثقافية، الأناركية بالأحرى. كل هذا يعطي صورةً لمايو 68 بوصفه فورانا متناقضاً وليس عيداً موحداً على الإطلاق. حياة مايو 68 كثيفةٌ وتظهر في كثرةٍ من التناقضات.

وتمثّل المكوّنات الثلاثة بمواضع رمزيةٍ كبرى. بالنسبة للطلبة، فإنها السوربون المحتلة؛ وبالنسبة للعمال، هي مصانع السيارات الكبرى (وفي قلبها رينو - بيّانكور-Renault Billancourt)؛ وبالنسبة لمايو الليبرتاري، الاحتلال، المدّمّر رغم ذلك، لمسرح الأوديون.

ثلاثةٌ مكوّناتٍ، وثلاثةٌ مواضع، وثلاثةٌ أنماطٍ من الرمزية ومن ثم من الخطاب؛ ومن هنا، بعد خمسين عاماً، ثلاثةٌ حساباتٍ ختاميةٍ مختلفة. على جانب الطلبة، محاولاتٌ إصلاح الدراسات، وطرحُ الدروس الأستاذية والامتحانات للتساؤل، وتطويرُ مجموعاتٍ عملٍ تطوّعي، وخلقُ إدجار فور Edgar Faure حين أصبح وزيرَ التربية القومية، لجامعةٍ تجريبية، هي باريس VIII، الواقعة في غابة فانسين، والتي ستصبح بالفعل، خلال بضعة سنوات، نوعاً

من المختبر، يعجُّ بكل الميول السياسية. وعلى جانب العمال، بعد إضراب عام عنيف وذي امتدادٍ غير معهود، زيادةٌ قوية في الأجور (يجب القول بأن الازدهار الاقتصادي يضمن التشغيل الكامل، ومن ثمّ وضعاً من الضعف النسبي لأصحاب العمل)، ونوياً من الشبان المتمردين في المصانع، والشعور المبهم، أيضاً، بأن النقابة العامة للشغل والحزب الشيوعي الفرنسي بمعنى من المعاني قد تبعاً الحركة عن بعدٍ أكثر مما أرادها أو دعمها. أنهما قد خشيا "اليساريين" أكثر مما حارباً الحكومة. وعلى الجانب الليبرتاري، سنجد، بخلاف الانتشار الفلسفي، والأدبي، والفني، بصدد الإحالة إلى "حيواتنا" (التي وجدناها من جديد حتى حركات عامي 2016 و2017)، الحركات التي تتمركز حول "النوع" الجنسي، وتحرير موانع الحمل والإجهاض، ومخططاً لتحويل الرابطة العاطفية، وباختصار، زلزلة هذه الركيزة للرجعية التي تمثلت دوماً في العائلة.

لكن بشكلٍ محدد، حين يتحدث المرء اليوم عن مايو 68، عن ماذا يتحدث؟ عن المجموع المعقّد للثلاثة مايو 68، أم عن واحدٍ فقط من المكونات الثلاثة التي يعزلها المرء طبقاً للمصالح الإيديولوجية أو السياسية المرتبطة بالوقت الحاضر؟

فيما يخصني، **أودّ التمسك بأن أيّاً من هذه المكونات الثلاثة ليس الأكثر أهمية، إذ وُجد مايو 68 رابع، هو الجوهر، والذي يحدد المستقبل أيضاً.**

هذا مايو 68 أقلُّ قابليّة للقراءة، لأنه يمتد في الزمن أكثر مما في اللحظة. إنه ما يتلو شهر مايو البديع، مؤلّداً سنواتٍ سياسية كثيفة. لا يمكن إدراكه إلاّ بصعوبةٍ إذا تمّ الالتزام بشكلٍ لصيقٍ بالشروط الأولية، ويُسيطرُ على التابع الممتد من عام 1968 إلى عام 1978، ثم يجري كبثه وامتصاصه رويداً رويداً، أولاً بظهور التيار - المعاكس الإيديولوجي والمرتدّ

المسمى "الفلسفة الجديدة" - رغم عدم كون هذا التيار لا جديداً ولا فلسفياً - ، ثم بانتصار اتحاد اليسار و"أعوام ميتران" الحزينة، وأخيراً بالبناء المسيطر لرأسمالية ارتدت إلى وحشيتها الليبرالية البدائية. وحتى إذا كان مايو 68 الرابع يحيا، بأشكال ذات مغزى، إلى مشارف القرن الجديد، أى إلى يومنا هذا، فلنكن طموحين، بصورة بارزة، وسوف أتمسك، في شخصي وفي بعض الآخرين، بالحل المعقول للحديث بصدده عن "عقدين، 1968-1988" بدل مايو 68.

تملك سيرورة مايو 68 جانبين. أولاً اليقين بأننا، بدءاً من أعوام الستينات، نشهد نهاية مفهوم قديم للسياسة. يتلو ذلك البحث الأعمى بعض الشيء، خلال كل عقد 1970-1980، عن مفهوم آخر للسياسة. والفرق بين هذا العنصر الرابع وبين العناصر الثلاثة الأولى هو أنه برمته مُشَبَّعٌ بسؤال: "ما السياسة؟" باعتباره، في آن واحد، سؤالاً نظرياً، بالغ الصعوبة، ورافداً مع ذلك لحشد من التجارب المباشرة التي ينخرط فيها المرء بحماس.

المفهوم القديم الذي يجري السعي إذن إلى القطيعة معه يقوم على الفكرة، السائدة عند نقطة الانطلاق، عند بداية أعوام الستينات، عند كل أنواع المناضلين، والمقبولة بهذا المعنى بشكل متجانس في المعسكر "الثوري"، بوجود فاعل تاريخي يحمل إمكانية الانعتاق. يُسمّى "الطبقة العاملة"، "البروليتاريا"، وأحياناً "الشعب"، ويجري النقاش حول تشكيله، واتساعه، لكن يجري التسليم بوجوده. وبذلك كان يُفترض، في تلك الفترة، أن سياسة الانعتاق، المسماة "الشيوعية" دون تحفظات، ليست فكرة خالصة، إرادة، وصفة طيبة، بل إنها، كما تدعمها ماركسيّة معينة يمكن وصفها بأنها تاريخانية، منقوشة، ومُبرمجة تقريباً، في الواقع التاريخي والاجتماعي.

والنتيجة المترتبة على هذا الاعتقاد هي أن هذا الفاعل agent الموضوعي يجب أن يتحول إلى قوة ذاتية، أن هذا الكيان الاجتماعي يجب أن يصبح مؤدياً acteur ذاتياً. ومن أجل ذلك، يجب أن يُمثَّل بمنظمةٍ نوعية، هي ما نسميه على وجه الدقة حزبا، حزب الطبقة العاملة، أو الحزب الشعبي. هذا الحزب يجب أن يوجد في كل مكان توجد فيه مواضع سلطةٍ أو تدخُّل.

هناك بالتأكيد مناقشاتٌ واسعة حول ما هو الحزب: هل يوجد بالفعل، هل يجب خلقه، أو إعادة خلقه، وماذا يمكن أن يكون شكله، إلخ.؟ لكن ثمة اتفاقٌ في العمق حول وجود فاعلٍ تاريخي وحول ضرورة تنظيمه. هذا التنظيم السياسي يجب بداهةً أن تكون له بدائلٌ اجتماعية، هي المنظمات الجماهيرية، التي تغرس جذورها في الواقع الاجتماعي المباشر. وهذا برمته هو سؤال مكان النقابية، وعلاقتها بالحزب، وما تعنيه نقابية الصراع الطبقي.

يعطينا هذا شيئا ما زال مستمرا اليوم، هو أن العمل السياسي التحرري له وجهان. فهناك أولاً حركاتٌ اجتماعية، مرتبطة بمطالب خاصة، ومنظماتها الطبيعية هي النقابات، ثم هناك بعد ذلك المكوّن من نمط الحزب، الذي يتمثل في شن معاركٍ ليكون حاضرا في كل المواقع الممكنة للسلطة، وينقل إليها، إذا أمكننا القول، قوةً ومحتوى الحركات الاجتماعية.

إنه المفهوم الذي يمكن القول أنه كلاسيكي. هذا المفهوم، في مُستهل التتابع المسمّى مايو 68، كان مشتركا إلى درجة كبيرة بين كل المؤدّين، وكان بالأخص كليّ الوجود بلغته. سواءً كان المؤدّون مؤسساتٍ مهيمنة أو من يقومون بالرد، شيوعيين أرثوذكس أو يساريين، ماويين أو تروتسكيين، فإنهم جميعا يستخدمون قاموس الطبقات، وصراع الطبقات، والإدارة البروليتارية للصراعات، والمنظمات الجماهيرية والحزب. وبعد ذلك، توجد خلافاً عنيفة حول

مشروعية هؤلاء أو أولئك وحول دلالة الحركات. لكن اللغة هي ذاتها والشعار المشترك هو
الراية الحمراء.

سأتمسكُ عن طيب خاطرٍ بأن الوحدة السياسية الكامنة في مايو 68، فيما وراء
تناقضاته العنيفة، هي الراية الحمراء. ففي مايو 68، للمرة الأخيرة، حتى اليوم على كل حال،
وللأسف حتى كل "غدٍ" قريب دون شك، كست الراية الحمراء البلاد، والمصانع، والأحياء.
وعند أواخر شهر مايو، عام 1968، كانت تُرى حتى على نوافذ شققٍ قسمٍ من البورجوازية،
في أحياءٍ باللغة الاختلاف عن "الضواحي" الشهيرة وعن "المدن" المشكوك فيها.

لكن الحقيقة الخفية، التي تتضح شيئاً فشيئاً، هي أن هذه اللغة المشتركة، التي ترمز
إليها الراية الحمراء، في طريقها للموت في الحقيقة. يمثل مايو 68 التباساً أساسياً بين لغةٍ
مشتركةٍ بالإجماع وبين بدايةٍ نهايةٍ الاستخدام، اللا - نقديّ على أية حال، لتلك اللغة. وبين
ما يبدأ وما ينغلق، ثمة نوعٌ من اللاتمايز المؤقت، الذي يصنع الكثافة السحرية لمايو 68.

هذه اللغة المشتركة، هذه الماركسيّة المعتادة لأحزابٍ ونقاباتٍ "الصرع الطبقي"، في
طريقها للموت في الأحداث، لأن مايو، على استحياءٍ، لكن السنوات التي تلتها، بقوةٍ، قد
طرّحا للتساؤل على نطاقٍ واسعٍ مشروعيةَ المنظمات التاريخية لليسار، وللنقابات، وللأحزاب،
وللقادة المعروفين. وحتى داخل المصانع، يوجد ردٌّ على الانضباط، وعلى الشكل المعتاد
للإضرابات، وعلى مراتبية العمل، وعلى السلطة النقابية على الحركات. تم سحبُ الفعل العمالي
والشعبي خارج إطاره المعتاد عن طريق مبادراتٍ تُعتبر أناركيّةً أو وحشيّةً. وهناك أخيراً، وربما
قبل كل شيء، نقدٌ جذري للديموقراطية التمثيلية، للإطار البرلماني والانتخابي، للـ "ديموقراطية"
بمعناها الدولي، المؤسسي، الدستوري، الذي تعهدُ إليه كلُّ التنظيمات "الثورية" بمصيرها، في

الواقع، ولو بمجرد التصاقها الذي لا يتغير بما سمّاه متمرّدو القرن التاسع عشر، عن حقٍ تماماً، باسم "القراءة البرلمانية".

ويجب قبل كل شيء ألا ننسى، أكرّر، أن الشعار النهائي لمايو 68 هو "الانتخابات، فحُ الحقى". وليس هذا مجرد تحمّس إيديولوجي؛ فثمة أسبابٌ محدّدة تُبرّر هذا العداء للديموقراطية التمثيلية. إذ في أعقاب شهر هائل من الاستنفار الطلابي، ثم العمالي والشعبي غير المسبوق، نجحت الحكومة في تنظيم انتخاباتٍ وكانت النتيجة هي أشدُّ برلمانٍ شهدته البلاد رجعيةً! ومن ثم أصبح واضحاً للجميع أن الجهاز الانتخابي ليس فقط، ولا حتى أساساً، جهازاً تمثيلاً، بل إنه كذلك جهازٌ قمع للحركات، والتجديدات، وأوجه القطيعة.

من خلال هذا كلّهُ - كلّ هذا "النقد الكبير"، إذا تكلمنا مثلاً يفعل الثوريون الصينيون -، السلبى من الناحية الجوهرية، تشقُّ طريقها رؤيةٌ جديدة، رؤيةٌ للسياسة تحاول اقتلاع نفسها من الرؤية الكلاسيكية. هذه المحاولة هي ما أسمّيناها مايو 68 الرابع. وهو يُفتّش عما يمكن أن يوجد فيما هو أبعد من انسدادِ النزعة الثورية الكلاسيكية. يُفتّش بطريقة عمياء، لأنه يُفتّش مُستخدمًا نفس اللغة التي تسود في المفهوم الذي يريدُ التخلص منه. ومن هنا التهمة، غير الكافية بداهةً، لـ "خيانة" أو لـ "إنكار": التنظيمات التقليدية يمكن أن تخون اللغة التي تخصّها. يمكن أن تُشهر - إنها مرةً أخرى اللغة التصويرية الجميلة للصينيين - "الراية الحمراء ضدّ الراية الحمراء".

إذا كنا، نحن الماويين، قد دعونا الحزب الشيوعي الفرنسي وتوابعه "مُراجعين"، فذلك لأننا اعتقدنا، مثلاً اعتقد لينين في الاشتراكيين - الديموقراطيين برنشتين أو كاوتسكي، أن تلك التنظيمات قد غيّرت اللغة الماركسية التي تستخدمها ظاهرياً إلى نقيضها. ولم ندرك بعدُ

أن عناصر معينة من تلك اللغة ذاتها هي التي كان يتوجب، توكيداً هذه المرة، تغييرها، مُستخلصين دروس تطبيقها في الثورتين الكبيرتين في روسيا والصين، وكذلك بقائها في الأحزاب الشيوعية للعام بأسره. وإذا كنا ماويين، فذلك لأننا اكتشفنا شيئاً فشيئاً أن لينين في الحقيقة، منذ نهاية العشرينات، وكذلك ماو، في خضم الحركة الهائلة المسماة "الثورة الثقافية"، الحركة التي كان مايو 68 معاصراً لها، كانا قد حاولا هما ذاتهما نقلَ تيمة الماركسية الثورية ونظرية الحزب الشيوعي إلى مرحلة جديدة من صيرورتها.

كان مركزُ ثقلِ بحثنا الأعمى هو مجموعُ أشكالِ الارتباط المباشر بين صورِ مايو 68 المختلفة. مايو الرابع هو الخط المستعرض الذي يربط بين الثلاثة الآخرين. كان كنزنا هو مجموعُ المبادرات المتخذة لإتاحة الانتقال بين الحركات الثلاث المتنافرة، وبالأخص بين الحركة الطلابية والحركة العمالية، مثلما كان الحال على نطاقٍ غير مسبوقٍ خلال الثورة الثقافية، التي سيطرت عليها عامي 1965-1966 حركةُ الشيبية (المعروفة باسم "الحرس الأحمر")، ثم خلال 1966-1969 الحركة العمالية التي كان نموذجها المعياري هو الخلقُ المدهش، بدءاً من يناير عام 1967، لـ"كوميونة شانغهاي".

كانت الماويةُ الفرنسية نوعاً من الاندماج، الإيديولوجي والعملي، بين الدروس المعاصرة للثورة الثقافية الصينية وبين الظروف العينية الأشدّ إدهاشاً للتيارات الثلاثة المؤسسة لمايو 68 الفرنسي. ولتسمحوا لي، من أجل توضيح ذلك، بأن أُدخلَ هنا بعضُ عناصرِ السيرة الذاتية.

سردية صغيرة شخصية الطابع

لحظة انطلاق مايو 68، كنتُ أستاذاً مساعداً في إحدى مدن الأقاليم. وُضعت الكلية في حالة إضراب (وهي في الحقيقة مركزٌ جامعي لا يتضمن سوى الدراسات التمهيدية)، مع التأخير الفرنسي الكلاسيكي بين ما يحدث في الإقليم الباريسي وبين ما يتبعه في داخل البلاد. هذا الإضراب الطلابي لا يتميز في شيء عما يجري في أي مكانٍ آخر: خليطٌ من المعتقدات والثرثرة، من التصريحات "السياسية" والإصلاحية الأكاديمية. لكنه، مثلما في كل مكان آخر، يقدم قاعدةً للعمل الجماعي. ومرةً أخرى وفق مدرسة الوضع العام، ينتشر الإضراب العمالي إلى كل مصانع هذه المدينة، التي كانت في تلك الفترة من أكثر المدن عماليةً في فرنسا طبقاً لتعداد السكان.

وهكذا ذات يومٍ، مثل الأماكن الأخرى أيضاً، نظّمنا مسيرةً نحو المصنع الرئيسي المضرب في المدينة. في تلك الفترة، كنتُ كادراً محلياً للحزب الاشتراكي الموحد (PSU)، اشتراكياً - ديمقراطياً يسارياً في نهاية المطاف. لكنني، ذاتياً، لم أبق في صفوف مقدمة الموكب بهذه الصفة. وذلك لأنني أعرف أننا نُفَعِّل هناك الأصالة المحورية التي يستطيعها مايو 68: الخطّ المستعرض diagonale الجديد المثقفون - العمال. نسير، في موكبٍ طويل ومتلاحم، في شمس ذلك اليوم، صوب ذلك المركز العمالي. ماذا سنفعل هناك؟ لا ندرى، لدينا فحسب فكرةً غامضةً بأن التمرد الطلابي والإضراب العمالي يجب أن يتّحدا، دون توسّط المنظمات الكلاسيكية. نصل إلى المصنع المحاط بالمتاريس، المكسو بالرايات الحمراء، بصِف من النقابيين

أمام الحواجز الملحومة، بين الشك والعداء. بعدها، يقترب بعض العمال الشباب، ثم آخرون، ثم آخرون. تبدأ نقاشات غير رسمية. يعمل نوعٌ من الاندماج المحلي. نأخذ مواعيد لتنظيم اجتماعات عامة في المدينة. وهناك ستتأسس إمكانيةً خطٍ مستعرضٍ نشط بين اثنين من مايو 68.

وفي العام التالي، عُيِّنَتْ في جامعة فانسين الجديدة تماما. وهناك وجدتُ فورانا شاملا، وجودا لكل المجموعات، فشاركْتُ بنشاطٍ في خلق منظمةٍ جديدة، ماويةٌ صراحةً، تريد أن تكون - ألم يقل ماو ذاته عدة مراتٍ أنه وسطي؟ - بين النزعة اليسارية المدّعية لليسار البروليتاري (GP) وبين إعادة الصياغة اليمينية للحزب الشيوعي الستاليني لأعوام الثلاثينات التي هي الحزب الشيوعي الماركسي - اللينيني لفرنسا (PCMLF). وسمينا هذه المنظمة الجديدة، بكثيرٍ من الاحتياطات، "المجموعة من أجل تأسيس الـ UCFML"، أي: المجموعة التي تهدف لتأسيس اتحاد لشيوعي فرنسا الماركسيين - اللينينيين، وهو اتحادٌ يهدف بدوره لخلق حزبٍ شيوعي من طرازٍ جديد، من خلال النضالات ذاتها. مما يعني القول أن هذا الحزب، ليس من أجل الغد! أولاً، يجب الارتباط بجماهير العمال، خلق نوياتٍ شيوعية، الوجود في النضالات، عرض جدّتنا السياسية رويدا رويدا.

في هذا الإطار، منذ التابع الأساسي الذي يمتد من مايو 68 إلى بداية أعوام السبعينات، وجدت الاجتماعات الطلابية - العمالية في المدينة الإقليمية التي تحدّثُ عنها مصيرها السياسي أخيرا: بواسطة اندماجٍ واضحٍ بين الجدّة العمالية التي ما زالت عمياء، وقدم الطلبة، وخلق منظمةٍ ماويةٍ مركزية، كانت ستصبح مصفوفةً ميلادٍ منظمةٍ للمصنع، هي

"صندوق التضامن"، الجديد تماما في تركيبه وفي أهدافه، والذي سيستمر خلال سنواتٍ طويلةٍ وحافلة بالنشاط.

يمكننا إذن القول بأن ما جرى هنالك، عند بوابة المصنع، في مايو 68، هذا الخط المستعرض العملي بين مايو رقم 1 ومايو رقم 2، الموسوم ذاتيا بحماسةٍ بهيجَةٍ وقلقةٍ في آن، والذي استمد منه مايو رقم 3 فلسفته، ضاربا بذلك المثل لما يجب ويمكن أن يكونه مايو رقم 4 كخطٍ مستعرضٍ للثلاثة الأخرى، كان مصيره حياةً سياسيةً جديدةً تماما في مصنعٍ كبير. لم تكن هذه الحياة السياسية محتملةً، أو متخيَّلةً قبل أسبوعٍ أو أسبوعين من موكنا من الكلية باتجاه المصنع. وقد احتفظ الجهاز النقابي والحزبي الصلب عموما بالعمال، والطلبة، والمثقفين مُنغلقين بشدةٍ داخل منظماتهم الخاصة. وكان التوسُّط الوحيد يُمُّر من خلال الإدارات المحلية أو القومية. وفي وضع تلك اللحظة، أخذ ذلك الجهاز يتصدَّع تحت أعيننا. وكنا في آنٍ واحدٍ المؤدين المباشرين لهذه الجدة والمشاهدين المنبهرين لها.

هذا، هو الحدث *l'événement* بالمعنى الفلسفي للمصطلح: شيءٌ يحدث لا يمكن لعواقبه، رغم كونها ضرورية، أن تكون قابلةً للتنبؤ في هذه الأثناء. وبهذا المعنى، فإن مايو 68 الرابع، وهو وحده، ما كان، في النظام السياسي، حَدَثًا. حَدَثٌ فكرةٌ جديدة عن السياسة.

ما هي عواقب الحدث، طوال "السنوات الحمراء" العشر، من 1968 إلى 1978، وطوال انتشارها المضاد من 1978 إلى 1988؟ لا أكثر، ولا أقل من البحث عن سياسةٍ أخرى، توضَّحها المرحلة الماوية للفكر الماركسي، بحثٌ قامت به حفنةٌ من المثقفين، وبضع آلافٍ من الطلبة والتلامذة، وبضع مئاتٍ من العمال أو من نساء المدن. ونشدد على أن فئةً ليست

بالقليلة من البروليتاريين، القادمين غالبا من إفريقيا، قد لعبت، من خلال المصانع والمقار السكنية، دوراً خلاقاً خلال كل هذا التتابع.

تساءلنا - مثلما ما زلت أتساءل اليوم، مع آخرين -، ماذا كان يمكن أن تكون عليه، وربما بنجاحاتٍ تجريبيةٍ كبرى، ممارسةٌ للسياسة لا تقبلُ بأن تتركَ كلَّ واحدٍ في مكانه؟ تقبل مساراتٍ غير مسبوقَةٍ، ولقاءاتٍ مستحيلةٍ، ولقاءاتٍ بين أشخاصٍ لا يتحدثون في العادة؟ ماذا يمكن أن يكون عليه فكر - ممارسةٌ يكون على نحوٍ ما شيوعياً بصورةٍ مباشرة؟

في تلك اللحظة من مايو 68، هناك، أمام المصنع، بموكبنا الأخرق، أدركنا، دون أن نفهم بعد، أنه إذا كان ثمة سياسةٌ شيوعيةٌ جديدةٌ ممكنةٌ، فإنها ستنتقل من الارتباط بالجماهير، ستكون نَسفاً للتصنيفات الراسخة، لن تتمثل في تنظيم كل شخصٍ في موقعه، بل ستُنظَّم على العكس إزاحاتٍ، مادية وذهنية، صاعقة. ستُصنَع بالحضور المحايث للمثقفين في المصانع، والمقار السكنية، والأحياء، والأرياف، كي يؤسَّس مبدأً منظمٌ، كما قال ماو، أن "يُعادَ إلى الجماهير في شكلٍ دقيقٍ ما أعطته لنا في شكلٍ مشوّش".

في العمق، فإن مايو 68، الرابع، الحقيقي، هو تاريخُ إزاحةٍ، مازالت عمياء جزئياً. وما حفزنا، ما حمّسنا، كان الاقتناع بأنه يجب القضاء على المواقع places. إنه، بوجهٍ عام، ما يستعيدُ كلمة الشيوعية البديعة، المجتمع المساواتي، المجتمع الذي بحركته ذاتها يهدمُ الجدران والانفصالات، مجتمع التكافؤ المتعدد والمسارات المتغيرة، في العمل مثلما في الحياة. لكن "الشيوعية" تعني أيضاً: أشكال تنظيمٍ سياسية ليس نموذجها تراتبية المواقع. مايو 68 الرابع، كان هذا: مجموع الخبرات التي برهنت أن النَسفَ المستحيل للمواقع الاجتماعية، التقويض لما لا

يلين، للتراتبية الدينية للثروات، والحريات، والسلطات، أمورٌ ممكنةٌ اجتماعياً، عن طريق نمطٍ غير مسبوق من أخذ الكلمة والبحث المتلمّس عن أشكال تنظيم مناسبةٍ لجِدَّةِ الحدث.

واليوم؟

بعد عشرة أعوام من مايو 68، قامت سيرورة وحدة اليسار وانتخاب ميتران بكبت هذا كَلَّه جزئياً، فارضةً ظاهرياً عودةً إلى النماذج الكلاسيكية. عدنا إلى "كلّ واحدٍ في موضعه" المميّزة لذلك النموذج: أحزاب اليسار تحكم إذا استطاعت، والنقابات تُطالب، والمتقنون يُثَقِّفون، والعمال في المصنع، إلى آخره. ومثل كل عمليات العودة إلى النظام، فإن هذه المغامرة لـ "يسارٍ" ميتٍ بالفعل في الحقيقة قد ولدت داخل قطاع كبير من الشعب وهماً بالغ الإيجاز، يقع عند مستهل أعوام الثمانينات، بين 1980 و1983. وتوجّب على أجيالٍ جديدة أن تُعيد بشكلٍ مؤلمٍ تعلّم أن اليسار ليس، ولم يكن أبداً، فرصةً جديدة للحياة السياسية. إنه دوماً شبحٌ عائِدٌ موشومٌ بقوةٍ بندوب العفن. فمنذ عام 1982-1983، رأينا ذلك جيداً، مع "الصرامة"، كيف يُعاملُ العمال المضربون لشركة تالبوت Talbot كإرهابيين شيعةٍ، بالفعل، وفتحُ معسكرات احتجاج، والمراسيمُ ضد الهجرة العائلية، ووضعُ بيريجوفواه Bérégovoy لفرنسا على طريق لبرلةٍ ماليةٍ غير مسبوقَةٍ، بدأت إدراج فرنسا في الرأسمالية المعولة الأشد وحشية.

لكن في النهاية يمكننا قول أننا دائماً فوق صدع أسئلةٍ صعبة فتحها مايو 68. من وجهة نظر السياسة، من وجهة نظر تعريفها، ومستقبلها المنظم فإننا معاصرون لـ 68 بمعنىً بالغ القوة للكلمة. مؤكّذ أن العالم قد تغيّر، وتغيّرت التصنيفات، فالشبيبة الطلابية، والعمال، والفلاحون، يعنّون شيئاً مختلفاً اليوم، والمنظمات النقابية والحزبية السائدة في تلك الفترة قد أصبحت اليوم حطاماً. لكن [مازال] لدينا نفس المشكلة، نحن معاصرون للمشكلة التي وضعها

مايو 68 الرابع على جدول أعمال اليوم، مشكلة معرفة أن الشيوعية، حسب مدرسة التدخلات الأخيرة للينين ولماو الثورة الثقافية الصينية، يجب في آن واحد إعادة الإمساك بها وإعادة اختراعها.

ونحن، مُناضلو أعوام الستينات والسبعينات، وكذلك الثمانينات، وما بعدها، لم نكن بحاجة إلى انهيار الاتحاد السوفيتي عند نهاية الثمانينات لنعرف ذلك. فقد جرى تجريب، وامتحان، واختبار ما لا يحصى من الأشياء الجديدة في الفكر مثلما في الممارسات المرتبطة به جدليا. ويستمر ذلك، بفضل الطاقة الموسومة عادةً بالعزلة البادية لحفنة من المناضلين، والمثقفين، والعمال الحيارى. إنهم حُرَّاس المستقبل ويتكرون هذا الحرس. لكن لا يمكن القول أن المشكلة قد حُلَّت، مشكلة الأشكال الجديدة للتنظيم الملائمة للمعالجة المعاصرة للتناحرات السياسية. الأمرُ مثلما في العلم: طالما لم يتم حل مشكلة، تكون لديك كل أنواع الاكتشافات التي حفزها البحث عن حل لها، وأحيانا ترى النور نظريات جديدة كاملة لهذا السبب، لكن المشكلة، بوصفها كذلك، تبقى. بهذه الطريقة، ظل كثيرون من كبار عظماء الرياضيات معاصرين لفيرما Fermat⁽¹⁾ (رجل القرن السابع عشر) حتى وجد وايلز Wiles، منذ عدة سنوات، الحل أخيرا. ويمكننا بنفس الطريقة تعريف معاصرنا لمايو 68، التي يمكن القول أنها: الوفاء لمايو 68 الرابع.

ما هو حاسم في المقام الأول، هو الحفاظ على الفرضية التاريخية لعالم مُتَخَلِّص من قانون الربح والمنفعة الخاصة. وطالما ظل المرء، داخل نظام التمثيلات الفكرية، خاضعا للاعتقاد بأنه لا يمكنه القضاء على ذلك، بأن ذلك هو قانون العالم، لن تكون أيُّ سياسية اعتناق ممكنة. هذا ما اقترحتُ تسميته الفرضية الشيوعية. وهي في الواقع سلبية إلى حد كبير، لأن الأكثر

تأكيداً والأكثر أهميةً هو القول بأن العالم كما هو ليس ضرورياً، أكثر من القول "في الفراغ" بأن عالماً آخر ممكن. هذه مسألة منطقيٍّ موجهة⁽²⁾ logique modale. فيها، نجد أن ما يجب فرضه، سياسياً، هو أن نمضي من اللا- ضرورة إلى الإمكان.

ثانياً، يجب محاولة الحفاظ على كلمات لغتنا، التي لم نعد نتجاسر على نطقها، تلك الكلمات التي كانت لا تزال كلمات الجميع في 68. يقال لنا: "العالم تغير ومن ثم لم يعد يمكنكم نطقها، أتم تعرفون أنها كانت لغة وهم وإرهاب." لكن بلى! نستطيع! بل ويجب علينا! المشكلة باقية، ومن ثم يجب أن نستطيع نطق تلك الكلمات. ويرجع إلينا أن ننتقدها، وأن نمناها معنىً جديداً. يجب أن يظلّ باستطاعتنا أن نقول "الشعب"، و"العامل"، و"إلغاء الملكية الخاصة"، دون أن نُعدّ في أعيننا ذاتها ذوي ذوقٍ سقيم. يجب أن نناقش تلك الكلمات داخل مجالنا نحن، داخل معسكرنا نحن. يجب أن نضع حدّاً للإرهاب اللغوي الذي يُسلمنا إلى الأعداء. إن التخاذل في اللغة، وقبول الإرهاب الذي يمنعنا بصورةٍ حميمة من نطق الكلمات التي ليست ضمن اللياقة السائدة، هو اضطهادٌ لا يُحتمل.

وأخيراً، يجب أن نعرف أن كل سياسةٍ منظّمة وأن السؤال الأكثر استعصاءً على الحل دون شك عن طريق عمليات تجريبٍ متعدّدة الأشكال، بدأت منذ 68، هو معرفة أيّ نوعٍ من التنظيم نحتاجه. إذ أن الجهاز الكلاسيكي للحزب، المرتكز على روابطٍ اجتماعيةٍ والذي تكون "معاركه" الأهم هي في الحقيقة المعارك الانتخابية، هو مذهبٌ قد أعطى كل ما في طاقته. وهو الآن مُستهلكٌ، ولم يعد قادراً على الأداء، رغم الأشياء العظيمة التي استطاع إعطاءها، أو مصاحبته، فيما بين 1900 و1960.

تتم ممارسة التعامل مع وفائنا لمايو 68 على مستويين. فعلى مستوى الإيديولوجيا والتاريخ، يكون من المناسب أن نقوم بحسابنا الختامي الخاص للقرن العشرين، بحيث نُعيد صياغة رؤية استراتيجية في شروط عصرنا، بعد إخفاق الدول الاشتراكية. وأبعد من ذلك، نعرف أن ثمة عمليات تجريب محلية جارية، ومعارك سياسية تتخلق على خلفيتها أشكال جديدة للتنظيم. يجب أن نشارك فيها ونوضّحها من وجهة نظر الفرضية الشيوعية.

—

- 1 بيير دو فيرما (1607-1665): محام رياضي فرنسي يُنسب إليه فضل التطورات المبكرة التي أدت إلى نشوء حساب التفاضل الذي لم يكن معروفاً. أسهم في الهندسة التحليلية، ونظرية الاحتمالات، والبصريات. أفضل ما يُعرف به هو مبدأ فيرما لانبعث الضوء ونظرية الأعداد والنظرية الأخيرة التي أثبتتها البريطاني السير أندرو وايلز (1953): الباحث في الجمعية الملكية للأبحاث بجامعة أوكسفورد والمتخصص في نظرية الأعداد.
- 2 المنطق الموجّه: نوع من المنطق الصوري تم تطويره خلال ستينيات القرن العشرين.

وختاماً

هذه التوليفة من العمل الإيديولوجي والتاريخي المعقّد ومن المعطيات النظرية والعملية المرتبطة بالأشكال الجديدة للتنظيم السياسي تُحدّد حقبتنا. وهي حقبةٌ يمكنني تعريفها عن طيب خاطرٍ بأنها **حقبة إعادة صياغة الفرضية الشيوعية**. ما هي إذن الفضيلة الأهم بالنسبة لنا؟ تعرفون أن ثوريي أعوام 1792-1794 كانوا يستخدمون كلمة "الفضيلة". فقد سأل سان - جوست Saint-Just، كسؤالٍ محوري: "ماذا يريد من لا يريدون لا الفضيلة ولا الإرهاب؟" وأجاب: يريدون الفساد. وهذا ما يطلبه منا عالم اليوم: القبولُ بفساد الأرواح المعّم، تحت نير السلعة والنقود. وضد ذلك، فإن الفضيلة السياسية الأساسية اليوم هي الشجاعة. الشجاعة، ليس فقط في مواجهة الشرطة، فتلك ستأتي بالتأكيد، بل شجاعة الدفاع عن أفكارنا وممارستها، عن مبادئنا وكلماتنا، شجاعة تأكيد ما نفكر فيه، ما نريده، ما نفعله.

لنقل الأمر في كلمةٍ واحدة: لا بد لنا من شجاعة امتلاك فكرة. فكرة عظيمة. فلنقتنع بأن امتلاك فكرة عظيمة ليس مثيراً للسخرية ولا إجرامياً. عالم الرأسمالية المعّمة والمتغترسة الذي نعيش فيه يُحيلنا إلى أعوام أربعينات القرن التاسع عشر، إلى الرأسمالية الوليدة، التي كان الأمر المُلزم لها، كما صاغه جيزوه Guizot، هو: "إغتنوا!" وهو ما نترجمه بالقول "عيشوا دون فكرة!" يجب أن نقول أن المرء لا يحيا دون فكرة. يجب أن نقول: "امتلكوا الشجاعة

السياسية للحفاظ على الفكرة، التي لا يمكن أن تكون سوى الفكرة الشيوعية، في معناها النوعي." هذا هو السبب في أننا نظل معاصرين لمايو 68. فقد أعلن، بطريقته، أن الحياة دون فكرة لا تُحتمل. ثم استقر تسليم طويل، فظيغ. واليوم يعتقد أناس أكثر مما ينبغي أن عيش المرء من أجل نفسه، من أجل مصالحه، هو أمر لا مَجد عنه. فلنمتلك شجاعة الانفصال عن أولئك الناس. مثلما في مايو 68، سنرفض الأمر المُلزم: "القدرة على الاستهلاك تكفيك. عيش دون فكرة."

هنا يجب عليّ كفيلسوف أن أقول شيئاً جرى تكراره منذ أفلاطون، شيئاً بالغ البساطة. يقول أنه يجب العيش بفكرة، وبهذا اليقين يبدأ ما يستحق تسميته السياسة الحقة، ومعها ما أسميته أنا الحياة الحقة. لأننا إذا فكرنا في مستقبل الفكرة [المثل الأعلى]، وقسنا كم تناسبُ حقارة العالم كما يصير تحت أعيننا؛ إذا ارتبطنا بال جماهير الغفيرة من العمال والمعدمين الهائمين على سطح الأرض كي يعرفوا أين يمكنهم العيش؛ إذا تعلمنا كلّ الدروس، بما فيها درس مايو 68 الرابع، في قلب العالم الحي، لاستطعنا، لكن، تحت تلك الشروط فقط، أن نقول من جديد وأن نقف نداء ماو الأشد ذيوماً منذ عواصف سنوات الستينات والسبعينات: "لنا الحق في التمرد."

** ** *

